

وهذا فيه الاول من حيث أنهم لم يتمنون هلاك من يجيرهم من العذاب بارشاده والسياق ادعى للاول وثالثها ان المعنى ان اهلكنا الله تعالى في الآخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فن يجير الكافرين وهم أولى بالهلاك لكفرهم وان رحمتنا بالايمن فن يجير من لا إيمان له وعلى هذا الجواب متمدد أيضا والهلاك فيه محمول على لجازدون الحقيقة كما في سابقه والفرض الجزم بانهم لا يجير لهم وان حالهم اذا ترددت بين الهلاك بالذنب والرحمة بالايمن وهم مؤمنون فماذا يكون حال من لا إيمان له وهذا فيه بمد (قُلْ) أي لهم جوابا عن تمنيتهم ما لا يجديهم بل يريدهم معرضا بسوء ما هم عليه (هُوَ الرَّحْمَنُ) أي الله الرحمن (آمَنَّا بِهِ) أي فيجبرنا برحمته عز وجل من عذاب الآخرة ولم نكفر مثلكم حتى لانجار البتة ولما جعل الكفر سبب الاساءة في الآية الاولى جعل الايمان سبب الاجارة في هذه ليم التقابل ويقع التمريض موقعه ولم يقدم مفعول، آمنا لانه لو قيل به آمنا كان ذهابا الى التمريض بايمانهم بالاصنام وكان خروجاعما سبق له الكلام وحسن التقديم في قوله تعالى (وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا) لاقتضاء التمريض بهم في أمر التوكل ذلك أي وعليه توكلنا ونعم الوكيل فنصرنا لاعلى العدد والمدد كما أتم عليه والحاصل انه لما ذكر فيما قبل الاهلاك والرحمة وفسر برحمة الدنيا والآخرة كدهنا بمصونها لهم في الدارين لايمانهم وتوكلهم عليه تعالى خاصة وفي ذلك تحقيق عدم حصولها للكافرين لانتفاء الموجبين ثم في الآية خاتمة على منوال السابقة وتبين ان أحسن العمل الايمان والتوكل على الله تعالى وحده وهو حقيقة التقوى وقوله تعالى (فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) أي في الدارين وعيد بمد تلخيص الموجب لكنه أخرج مخرج الكلام المنصف أي من هو منا ومنكم في الخ وقرأ الكسائي فيعلمون بيبه الغيبة نظراً الى قوله تعالى فن يجير الكافرين وقوله سبحانه (قُلْ أَرَأَيْتُمْ) أي أخبروني (إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا) أي غائرا ذاهبا في الارض بالكلية وعن الكلبي لا تناله الدلاء وهو مصدر وصف به للمبالغة أو مؤل باسم الفاعل وأياما كان فليس المراد بالماء ماء معينا وان كانت الآية كما روى ابن المنذر والفاكهي عن ابن الكلبي نازلة في بشر زمزم وبشر ميمون بن الحضرمي (فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) أي جار أو ظاهر سهل المأخذ لوصل الايدي اليه وهو فيل من ممن أو مفعول من عين وعيد في الدنيا خاصة واردف الوعيد السابق به تنديها بالادنى على الاعلى وانكم اذا لم تعبدوه عز وجل للحياة الباقية فاعبدوه للفاية وتليت هذه الآية عند بعض المستهزئين فلما سمع فن يأتكم الخ قال تجي به الفؤس والمماول فذهب ماء عينه نعوذ بالله تعالى من الجراءة على الله جل جلاله وآياته وتفسير الآيات على هذا الطرز هو ما اختاره بعض الأئمة وهو أبعد مغزى من غيره والله تعالى أعلم بامرار كلامه

(سورة ن)

هي من أوائل ما نزل من القرآن بمسكة فقد نزلت على ماروي عن ابن عباس اقرأ باسم ربك ثم هذه ثم المزملة ثم المدثر وفي البحر أنها مسكية بلا خلاف فيها بين أهل التاويل وفي الاتقان استثنى منها انابولوناهم الى يعملون ومن فاصبر الى الصالحين فانه مدني حكاه السخاوي وفي مجال القراء وآياها ثنتان وخسون آية بالاجماع ومناسبتها لسورة الملك على ما قيل من جهة ختم تلك بالوعيد وافتتاح هذه به وقال الجلال السيوطي في ذلك إنه تعالى لما ذكر في آخر الملك التهديد بتقوير الماء استظهر عليه في هذه باذهاب ثمر اصحاب البستان في لينة طائف طاف عليهم وهم نائمون فاصبحوا ولم يجدوا له أثر حتى ظنوا أنهم ضلوا الطريق واذا كان هذا في الثمار وهي اجرام كثيفة فالما الذي هو لطيف أقرب الى الاذهاب ولهذا قال

سبحانه هنا وهم نائمون فاصبحت كالصريم وقال جل وعلا هناك ان اصبح ماؤم غورا اشارة الى انه يسرى عليه في ليلة كما أمرى على الثمر في ليلة انتهى ولا يخلو عن حسن وقال أبو حيان فيه انه ذكر فيما قبل اشياء من أحوال السعداء والاشقياء وذكر قدرته الباهرة وعلمه تعالى الواسع وانه عز وجل لوشاه لخسف بهم الارض أو لأرسل عليهم حاصبا وكان ما أخبر به سبحانه هو ما أوحى به الى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فتلاه عليه الصلاة والسلام وكان الكفار ينسبونه في ذلك مرة الى الشعر ومرة الى السحر ومرة الى الجنون فبدأ جل شأنه هذه السورة الكريمة ببرأته صلى الله تعالى عليه وسلم مما كانوا ينسبونه اليه من الجنون وتعظيم أجره على صبره على أذاهم وبالثناء على خلقه فقال عز من قائل

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) بالسكون على الوقف وقرأ الاكثرون بسكون النون وادغامها في واو (والقلم)

بغنة ادبعض وبدونها عند آخرين وقرى بكسر النون وقرأ ابن عباس وابن أبي اسحق وعيسى بخلاف عنه بفتحها وكل لا لتقاء الساكنين وجوز أن يكون الفتح باضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكرو ونحوه لافتحوا امتناع الصرف للتعريف والتأنيث على انه علم للسورة ثم ان جعل اسما مجرد مسرودا على نطق التمديد للتجدي على ما اشتهر وبين في موضعه أو اسما للسورة منصوبا على الوجه المذكور أو مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف فلو او في قوله تعالى والقلم للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه على الشائع واختار السامان ن من المتشابه وغير واحد من الخلف انه هنا من أسماء الحروف وقالوا ويؤيد ذلك انه لو كان اسم جنس أو علما لا عرب متونا أو ممنوعا من الصرف ولكتب كما يتلفظ به وكون كتابته كما ترى لنية الوقف واجراء الوصل مجراه خلاف الاصل وكون خط المصحف لا يقاس مسلم الا الاصل اجراؤه على القياس ما أمكن وقيل هو اسم حوت عليه الارض يقال له اليموت بفتح الياء امتثالة التحية وسكون الهاء ففي حديث رواء الضياء في المختار والحاكم ومحمده وجمع عن ابن عباس خالق الله تعالى النون فبسطت الارض عليه فاضطرب النون فادت الارض فثبتت بالحبال ثم قرأ ن والقلم الخ وروى ذلك عن مجاهد وروى عن ابن عباس أيضا والحسن وقادة والضحاك انه اسم للدواة وأنكر الزمخشري ورود النون بمعنى الدواة في اللغة أو في الاستعمال المعتد به وقال ابن عطية يحتمل أن يكون لغة لبعض العرب أو لفظة أعجمية عربية وأنشد قول الشاعر اذا ما الشرق برح بي الهمم ثم أفتت النون بالدمع السجوم

والارلون منهم ن فسر القلم بالذي خط في لوح المحفوظ ما هو كائن الى يوم القيامة ومنهم من فسره بقلم الملائكة للكرام السكاكين وال فيه على التفسيرين للمهد والآخرون منهم من فسره بالجنس على ان التعريف فيه جنسى ومنهم وهم قليل من فسره بما تقدم أيضا لكن الظاهر من كلامهم ان الدواة ليست عبارة عن الدواة المعروفة بل هي دواة خلقت يوم خلق ذلك القلم وعن معاوية بن قررة يرفعه ان ن لوح من نور والقلم قلم من نور يجرى بما هو كائن الى يوم القيامة وعن جعفر الصادق انه نهر من أنهار الجنة وفي البحر له لا يصح شيء من ذلك أي من جميع ما ذكر في ن ما عدا كونه اسما من الحروف وكانه ان كان مطلما على الروايات التي ذكرناها لم يعتبر تصحيح الحاكم فيها روى أولا عن ابن عباس ولا كون أحد رواياته الضياء في المختارة التي هي في الاعتبار قرينة من الصحاح ولا كثرة روايته عنه وهو الذي يطلب على النظر لكثرة الاختلاف فيها روى عنه في تعيين المراد به حتى انه روى عنه انه آخر حرف من حروف الرحمن وان هذا الاسم الجليل فرق في الر وحم ون ولا يخفى انه ان أريد الحوت أو نهر في الجنة يصير الكلام من باب كم الخليفة وأنت بادنجانة وأما ان أريد الدواة فالتكرار عن ذلك أشد الابهاء على انه كما سمعت

عن الزمخشري لغة لم تثبت والرد عليه إنما يتأتى بانبات ذلك عن الثقات وأنه به وذكر صاحب القاموس لا ينتهض حجة على أنه معنى لغوي وفي صحة الروايات كلام والبيت الذي انشده ابن عطية لم يثبت عربيا وكونه بمعنى الحوت اطلق على الدواة مجازا بملافة المشابهة فان بعض الحيتان يستخرج منه شيء أشد سوادا من النقس يكتب به لا يخفى ما فيه من السهاجة فان ذلك البعض لم يشتهر حتى يصبح جملة مشبهابهم مع انه لادلالة للمتكسر على ذلك الصنف بعينه وكونه بمعنى الحرف مجازا عنها أدهي وأسر كذا قيل ولابحث في البعض مجال وللقاص هذا الفصل روايات لا يعول عليها ولا ينبغي الاصفاء اليها ثم ان استحقاق القلم للاعظام بالاقسام به اذا أريد به قلم اللوح الذي جاء في الاخبار انه أول شيء خلقه الله تعالى أو قلم الكرام السكاكين ظاهر وأما استحقاق ما في أيدي الناس اذا أريد به الجنس لذلك فلكثرة منافعه ولو لم يكن له منزبة سوى كونه آلة لتحرير كتب الله عز وجل لكفى به فضلا موجبا لتظيمه والضمير في قوله سبحانه ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي يكتبون اما للقلم مرادا به قلم اللوح وعبر عنه بضمير الجمع تعظيما له أو له مرادا به جنس ما به الخط فضمير الجمع لتعدده لكنه ليس بكتاب حقيقة بل هو آلة للكتاب فالاسناد اليه اسناد الى الآلة مجازا والتميز عنه بضمير العقلاء لقيامه مقامهم وجملة فعلا أو للكتابة أو الحفظ المفهومين من القلم أولهم باعتبار أنه أريد بالقلم أصحابه تجوزا أو بتقدير مضاف معه ولا يخفى ما هو الا وجه من ذلك وأما كونه لما وهي بمعنى من فتكلف بارد والظاهر فيها أنها اما موصولة أي والذي يسطرونه أو مصدرية أي وسطروهم ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ جواب القسم والباء الثانية مزيدة لتأكيد النفي ومجنون خبر ما والباء الاولى للملابسة والجار والمجرور في موضع الحال من الضمير في الجبر والعامل فيها معنى النفي والمعنى انتفى عنك الجنون في حال كونك ملتبسا بنعمة ربك أي منعما عليك بما أنعم من حصافة الرأي والنبوة والشهامة واختاره ناصر الدين وقريب منه جعل الباء للسببية والجار والمجرور متعلقا بالنفي كالظرف اللغو كأنه قيل انتفى عنك الجنون بسبب نعمة ربك عليك وجوز أن تكون الباء للملابسة في موضع الحال والعامل مجنون وناؤه لا تمنع العمل لانها مزيدة وتعقبه ناصر الدين بان فيه نظرا من حيث المعنى ووجه بأن محصله على هذا التقدير أنه انتفى عنك الجنون وقت التباسك بنعمة ربك ولا يفهم منه انتفاء مطلق الجنون عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وهل المراد الا هذا وقيل عليه لا يخفى انه وارد على ما اختاره هو أيضا أي وذلك لان المعنى حينئذ انتفى عنك ملتبسا بنعمة ربك الجنون ولا يفهم منه انتفاؤه عنه عليه الصلاة والسلام في جميع الاوقات وهو المراد واحيب بأن تلك الحالة لازمة له صلى الله تعالى عليه وسلم غير منفكة عنه ففيه عنه فيها مستلزم لنفيه عنه دائما وسائر الحالات وتعقب بأن هذا متأد على كلا التقديرين لا اختصاص له باحدهما دون الآخر وأنت خير بانه فارق بينهما اذ يصير المعنى على تقدير كون العامل مجنون كما أشير اليه انه انتفى عنك الجنون اواقع عليك حالة الالتباس المذكور وهذا يدل على إمكان وقوعه في تلك الحالة بل على تحققه أيضا وهو معنى لاغ اذ كيف يتصور وجود الجنون ووقوعه وقت التباسه صلى الله تعالى عليه وسلم بالنعمة ومن جعلتها الحصافة ولا يرد هذا على التقدير المختار اذ الانتفاء المفهوم حينئذ لا يكون وأردأ على الجنون المقيد بما ذكر وهو وان كان مقيدا فيه أيضا لضربه لكون قيده لازما لذات النفي عنه كما عرفت هذا وقيل اذا حمل الباء على السببية واعتبر الظرف لغوا يظهر عدم جواز تعلقه بما بعده من حيث المعنى بظهور نار القرى ليلا على علم * ولهم في الجملة الحالية والحال اذا وقعت بعد النفي كلام ذكره الحفاجي وحقق انه حينئذ إنما يلزم انتفاء مقارنة الحال لدى الحال لانها نفسها فتدبر ولا تنقل وجوز كون نعمة ربك قسما متوسطا في الكلام لتأكيد من غير تقدير جواب

أو يقدر له جواب يدل عليه الكلام المذكور واستظهر هذا الوجه أبو حيان والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى معارج الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه صلى الله تعالى عليه وسلم والايدان بأنه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه في العلو الى غاية لا غاية وراها والمراد تنزيهه صلى الله تعالى عليه وسلم عما كانوا ينسبونه اليه صلى الله تعالى عليه وسلم من الجنون حسداً وعداوة ومكابرة فحاصل الكلام أنت منزّه عما يقولون ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ بمقابلة مقاساتك ألوان الشدائد من جهنم وتحملك أعباء الرسالة ﴿لَأَجْرًا﴾ لتوايها عظيماً لا يقدره (غَيْرَ مَمْنُونٍ) أى مقطوع مع عظمه أو غير ممنون عليك من حبة الناس فانه عطاؤه تعالى بلا واسطة أو من جهته تعالى لانك حبيب الله تعالى وهو عز وجل أكرم الأكرمين ومن شيمة الأكارم أن لا تمنوا بانعامهم لاسيما اذا كان على أحببهم كما قال

سأشكر عمرا ان تراخت منيتي • أي ادى لم تمن وان هي جلت

﴿وَإِنَّكَ أَعْلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ لا يدرك شأوه أحد من الخلق ولذلك تحتل من جهنم ما لا يحتمله أمثالك من أولى العزم وفي حديث مسلم وأبي داود والامام أحمد والدارمي وابن ماجه والنسائي عن سعد بن هشام قال قلت لعائشة رضي الله تعالى عنها يا أم المؤمنين أنبئني عن خلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالت ألت تقرأ القرآن قلت بلى قالت فان خلق نبي الله كان القرآن وأرادت بذلك على ما قيل ان ما فيه من المكارم كله كان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وما فيه من الزجر عن سفاسف الاخلاق كان منجزاً به عليه الصلاة والسلام لانه المقصود بالخطاب بالقصد الاول كذلك لثبته به فؤادك وربما يرجع الى هذا قولها كما في رواية ابن المنذر وغيره عن أبي الدرداء انه سأها عن خلقه عليه الصلاة والسلام فقالت كان خلقه القرآن رضى لرضاه ويسخط لسخطه وقال العارف بالله تعالى المرصفي أرادت بقولها كان خلقه القرآن تحاقه باخلاق الله تعالى لكنها لم تصرح به تادباً منها وفي الكشف أنه أدمج في هذه الجملة انه صلى الله تعالى عليه سلم متخاق باخلاق الله عز وجل بقوله سبحانه عظيم وزعم بعضهم أن في الآية رمزا الى أن الاخلاق الحسنة مما لا تنجام الجنون وانه كلما كان الانسان أحسن أخلاقا كان أبعد عن الجنون ويلزم من ذلك أن سوء الاخلاق قريب من الجنون ﴿فَسْتَبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُونُ﴾ أى المجنون كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وابن المنذر عن ابن جبير وعبد بن حميد عن مجاهد وأطلق على المجنون لانه فتن اي عن بالجنون وقيل لان العرب يزعمون ان الجنون من تخيل الجن وهم الفتن للفتنك منهم والباء مزيدة في المبتدأ وجوز ذلك سيويه أو الفتنة فالمفتون مصدر كالمقول والمجود أى الجنون كما أخرجه عبد بن حميد عن الحسن وابي الجوزاء وهو بناء على أن المصدر يكون على وزن المفعول كما جوزوه بعضهم والباء عليه للملاسة أو بابى الفريقين منكم الجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أى في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تمريض بأبى جهل والوليد بن المغيرة واضراهما والباء على هذا بمعنى في وقدر بأى الفريقين منكم دفما قيل من ان الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجماعة قريش ولا يصح أن يقال لجماعة وواحد في أيكم زيد وأيد الاعتراض بأن قوله تعالى فستبصر ويبصرون خطاب له عليه الصلاة والسلام خاصة وجواب التأيد أن الخطاب بظاهره خص برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليجرى الكلام على نهج السوابق ولا يتنافر لكنه ليس بالسوابق في الاختصاص حقيقة لدخول الأمة فيه أيضا فيصح تقدير بأى الفريقين وادعى صاحب الكشف ان هذا أوجه الأوجه لاقادته التمريض وسلامته عن استهال النادر يعني زيادة الباء في المبتدأ وكون المصدر على زنة المفعول واليه ذهب الفراء ويؤيده قراءة ابن أبي عمير في أيكم وأياما كان فالظاهر ان بأيكم المفتون معمول لما قبله على سبيل التنازع والمراد فستسلم

ويعلمون ذلك يوم القيامة حين يتدين الحق من الباطل وروى ذلك عن ابن عباس وقيل فسبصر وبيصرون في الدنيا بظهور عاقبة الامر بفلسفة الاسلام واستيلائك عليهم بالتسل والنهب وصيرورتك مهيبا معظما في قلوب العالمين وكونهم أدلة صاغرين ويشمل هذا ما كان يوم بدر وعن مقاتل ان ذلك وعيد بعذاب يوم بدر وقال أبو عثمان المازني ان الكلام قد تم عند قوله تعالى وبيصرون ثم استأنف قوله سبحانه بأيكم المفتون على انه استفهام يراد به الترددين أمرين معلوم نبي الحكم عن أحدهما وتعين وجوده للآخر وهو كما ترى ﴿ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ استئناف لبيان ما قبله وتأكيد لما تضمنه من الوعد والوعيد أى هو سبحانه أعلم بمن ضل عن سبيله المؤدى الى سعادة الدارين وهام في تيه الضلال متوجها الى ما يقتضيه من الشقاوة الابدية ومزيد التكال وهذا هو المخنون الذي لا يفرق بين النفع والضرب بحسب الضرر نفعا فيؤثره والنفع ضررا فيهجره وهو عز وجل أعلم بالمهتدين الى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل محذور وهم العقلاء المراحيع فيجزى كل الامن الفريقين حسب ما يستحقه من العقاب والثواب وفي الكشف ان ربك هو أعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو أعلم بالعقلاء وهم المهتدون أو يكون وعيدا ووعدا وأنه سبحانه أعلم بجزاء الفريقين قال في الكشف هو على الاول تذييل مؤكدا لما رمز اليه في السابق من أن المفتون من قرفك به جار على أسلوب المؤكد في عدم التصريح ولكن على وجه أوضح فان قوله تعالى بأيكم المفتون لانعين فيه بوجه وهذا بدل هو أعلم بالمخنون وبالعقل بدل على أن الجنون بهذا الاعتبار لا بما توهموه وثبت لهم صرف الضلال في عين هذا الزعم وعلى الثاني هو تذييل أيضا ولكن على سبيل التصريح لان بمن ضل أقوم مقام بهم وبالمهتدين أقوم مقام بهم ولعل ما اعتبرناه أملا بالفائدة وكان تقديم الوعيد ليتصل بما أشعر به أولا والتعير في جانب الضلال بالفعل للايماء بأنه خلاف ما تقتضيه الفطرة وزيادة هو أعلم لزيادة التقرير مع الايدان باختلاف الجزاء والفاء في قوله تعالى ﴿ فَلَا تُطِيعِ الْمُكْفَرِينَ ﴾ لترتيب النهي على ما ينبيه عنه ما قبله من اهتدائه صلى الله تعالى عليه وسلم وضلالهم أو على جميع ما فصل من أول السورة وهذا تهيج والهاب للتصميم على معاصاتهم أى دم على ما أنت عليه من عدم طاعتهم وتصلب في ذلك وجوز أن يكون نية عن مدهاتهم ومداراتهم باظهار خلاف ما في ضيره صلى الله تعالى عليه وسلم استجلابا لقلوبهم لاعن طاعتهم حقيقة وبنية عنه قوله تعالى ﴿ وَذُوقُوا نُورَهُ تَذِيهِنُ ﴾ لانه تليل للنهي أو للانتهاء وانما عبر عنها بالطاعة للبالغة في التنفير أى أحبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الامور ﴿ فَيَذَرُوهُنَّ ﴾ أى فهم يدهنون حينئذ أو فهم الآن يدهنون طعما في ادهانك فالفاء ناسبية داخله على جملة مسببة عما قبلها وقدر المبتدأ لمكان رفع بالفعل والفرق بين الوجهين أن المنى على أنهم تمنوا لو تدهن فترتب مدهاتهم على مدهاتك ففيه ترتب احدى المدهاتين على الاخرى في الخارج ولو فيه غير مصدرية وعلى الثاني هي مصدرية والترتب ذهنى على ودادتهم وتمنيهم وجوز أن تكون الفاء لمعطف يدهنون على تدهن على انه داخل معه في حيز لومتنى مثله والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب ادهانك وما تقدم أبعد عن اقل والقال وأياما كان فالمعبر في جانبهم حقيقة الادهان الذى هو اظهار الملاينة واضار خلافها واما في جانبه عليه الصلاة والسلام فالمعبر بالنسبة الى ودادتهم هو اظهار الملاينة فقط وأما اضمار خلافها فليس في حيز الاعتبار بل هم في غاية الكراهة وانما اعتماره بالنسبة اليه عليه الصلاة والسلام وفي بعض المصاحف كما قال هرون فيدهنون بدون نون الرفع فقل هو منصوب في جواب التمنى المفهوم من ودوا وقيل انه عطف على تدهن بنسائه على أن لو بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها وما بعدها مصدر يقع مفعولا لودوا!

كأنه قيل ودوا أن تدهن فيدهنوا ولعل هذا مراد من قال أنه عطف على توهم أن وجمهور النحاة على أن لو على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا أى ودوا ادهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك **(وَلَا تَطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ)** كثير الحلف في الحق والباطل وكفى بهذا مزجراً لمن اعتاد الحلف لانه جعل فائحة المتألب وأساس الباقي وهو يدل على عدم استشعار عظمة الله عز وجل وهو أم كل شر عقداً وعملاً وذكر بعضهم ان كثرة الحلف مذمومة ولو في الحق لما فيها من الجرأة على اسمه جل شأنه وهذا النهى للتبهيج والالهاب أيضا أى دم على ما أنت عليه من عدم طاعة كل حلاف **(مَهِينٍ)** حقير الرأى والتدبير وقال الرماني المهين الوضع لاكثره من القبيح من المهانة وهي القلة وأخرج ابن المنذر وعبد بن حميد عن قتادة انه قال هو المكثار في الشر وأخرج ابن جرير وغيره عن ابن عباس أنه الكذاب **(هَمَّازٍ)** عياب طمان قال أبو حيان هو من الهمز وأصله في اللغة الضرب طمناً باليد او بالعصا ونحوها ثم استعير للذى ينال بلسانه قال منذر بن سعيد وبعبينه وإشارته **(مَشَّاءٍ يَنْمِيمٍ)** يقال للحدث من قوم الى قوم على وجه الافساد بينهم فان النميم والنميمة مصدران بمعنى السعاية والافساد وقيل النميم جمع نميمة لا يريدون به الجنس واصل النميمة الهمس والحركة الخفيفة ومنه اسكت الله تعالى نامته اى ما ينم عليه من حركته **(مَنْعٍ لِلْخَيْرِ)** أى بخيل عمسك من منع معروفه عنه اذا أمسك فاللام للتقوية والخير على ما قيل المال أو مناع الناس الخير وهو الاسلام من منعت زيدا من الكفر اذا حماه على الكف فذكر المنوع منه كأنه قيل مناع من الخير دون المنوع وهو الناس عكس وجه الاول والتعميم هنا لك وعدم ذكر المنوع منه أوقع **(مُعْتَدٍ)** مجاوز في الظلم حده **(أَثِيمٍ)** كثير الآثام وهي الافعال البهتة عن الثواب والمراد بها المعاصى والذنوب **(عُدْلٍ)** قال ابن عباس الشديد الفاتك وقال الكلبي الشديد الحسومة بالباطل وقال معمر وقتادة الفاحش اللثيم وقيل هو الذى يعتل الناس أى يجرم الى حبس أو عذاب بعنف وغلظة ويقال عنه بالنون كما يقال عتله باللام كما قال ابن السكيت وقرأ الحسن عدل بالرفع على النعم **(بَعْدَ ذَلِكَ)** أى المذكور من مثالبه وقبائحه وبعد هنا كنم الدالة على التفاوت الرتبى فتدل على أن ما بعد أعظم في القباحة وفي الكشف أشمر كلام الزمخشري أنه متعلق بعقل فلزم تباينه من الصفات السابقة وتباين ما بعده أيضا لانه في سلكه **(زَيْمٍ)** دعى ملحق بقوم ليس منهم كما قال ابن عباس والمراد به ولد الزنا كما جاء بهذا اللفظ عنه رضى الله تعالى عنه وأنشد الحسان

زيم تداعته الرجال زيادة **ب** كما زيد في عرض الأديم الأكارع

وكذا جاء عن عكرمة وأنشد

زيم ليس يعرف من أبوه **ب** بغى الام ذو حسب لثيم

من الزئمة بفنحات وهي ما يتدلى من الجلد في حلق المزمز والفلقة من أذنه تشق فتترك معلقة وانما كان هذا أشد المعاييب لان الغالب أن النطفة اذا خبت خبت الناضج منها ومن ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم فرخ الزنا أى ولده لا يدخل الجنة فهو محمول على الغالب فانه في الغالب لحبائنه نطفته يكون خبيثا لا خير فيه أصلا فلا يعمل عملا يدخل به الجنة وقال بعض الاجلة هذا خارج مخرج التهديد والتمريض بالزاني وحمل على أنه لا يدخل الجنة مع السابقين لحديث الدارمي عن عبد الله بن عمر مرفوعا لا يدخل الجنة عاق ولا ولد زنية ولا منان ولا مدمن خمر فانه سلك في قرن الماق والمنان ومدمن الخمر ولا ارنباب أنهم عند أهل السنة ليسوا من زمرة من لا يدخل الجنة أبدا وقيل المراد انه لا يدخل الجنة بمثل أبويه اذا مات صغيرا بل يدخلها بمحض فضل الله تعالى

ورحمته سبحانه كأطفال الكفار عند الجمهور وروى ابن جبير عن ابن عباس أن الزنيم هو الذي يعرف بالشعر كما تعرف الشاة بالزئمة وفي رواية ابن أبي حاتم عنه هو الرجل يمر على القوم فيقولون رجل سوء والمآل واحد وعنه أيضا أنه المعروف بالابنة ولا يخفى أن المسأبون معدن الشرور بل من لم يصل في ذلك الأمر الشنيع إلى تلك المرتبة كذلك في الأغلب ولا حاجة إلى كثرة الاستشهاد في هذا الباب وفي قول الشاعر لا كفاه وهو ولكم بذلت لك المودة ناصحا * فغدوت تسلك في الطريق الأعوج
ولكم رجوتك للجميل وفعله * يوما فساداتي النهى لا ترج

وأخرج ابن جرير وابن مردويه عنه أنه قال تزل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا تطع كل خلاف الخ فلم يعرف حتى تزل عليه الصلاة والسلام بعد ذلك زينيم فعر فساه له زئمة في عنقه كزئمة الشاة واستشكل هذا بان الزنيم عليه ليس صفة ذم فضلا عن كونه أعظم فيه من الصفات التي قبل ذلك على ما يفيد به بعد ذلك ولا يكاد يحسن تعليل النهى به على أن من المعلوم أن ليس المراد بالوصف بهذه الصفات شخصا بعينه لمكان كل ويحمل مناجاه في الروايات من أنه الوليد بن المغيرة المخزومي وكان دعيا في قريش ليس من سنخهم ادناه أبوه بعد ثمانى عشرة من مولده أو الحكم طريد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو الاخنس ابن سريق وكان أصله من ثقيف وعداده في زهرة أو الأسود بن عبد يغوث أو أبو جهل على بيان سبب النزول وقيل في ذلك ان المراد منه بقيق الخلق بعد ذمه بما تقدم وهو كما ترى فتأمل فلعلك تظفر بما يريح البال ويشرح الاشكال وقوله تعالى ﴿ أَنْ كَانَتْ ذَا مَالٍ وَبَيْنَيْنَا ﴾ بتقدير لام التعليل وهو متعلق بقوله سبحانه لا تطع أى لا تطع من هذه مثاله لان كان متمولا متقويا بالبنين وقوله سبحانه ﴿ إِذَا تَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولَى ﴾ استئناف جار مجرى التعليل للنهى وجوز أن يكون لان متعلقا بنحو كذب ويدل عليه الجملة الشرطية ويقدر مقدما دفعا لتوهم الحصر كأنه قيل كذب لان كان الخ والمراد انه بطر نعمة الله تعالى ولم يعرف حقها ولم يجوز تعلقه بقال المذكور بعد لان ما بعد الشرط لا يعمل فيها قبله ولعل من يقول باطراد التوسع في الظرف يجوز ذلك وكذا من يجعل اذاهنا ظرفية وقال أبو على الفارسي يجوز تعلقه بعقل وان كان قد وصف وتعقبه أبو حيان بأنه قول كوفي ولا يجوز ذلك عند البصريين وقيل متعلق بزئيم ويحسن ذلك اذا فسر بقتييح الافعال وقرأ الحسن وابن أبى اسحق وأبو جعفر وأبو بكر وحزرة وابن عامر أن كان على الاستفهام وحقق الهمزتين حمزة وسهل الثانية باقبيهم على ما في البحر وقال بعض قرأ أبو بكر وحزرة بهمزتين وابن عامر بهمزة ومددة والمعنى أ كذب بها لان كان ذا مال أو أطيعه لان كان الخ وقرأ نافع في رواية اليزيدي عنه ان كان بالكسر على أن شرط الغنى في النهى عن الطاعة كالتعليل بالفقر في النهى عن قتل الاولاد بمعنى النهى في غير ذلك يعلم بالطريق الاولى فيثبت بدلالة النص والشرط والعلة في مثله مما لا مفهوم له أو على أن الشرط للمخاطب وحاصل المعنى لا تطع كل خلاف الخ شارطا يساره لان اطاعة الكافر لغناه بمنزلة اشتراط غناه في الطاعة وفيه تنزيل المخاطب منزلة من شرط ذلك وحقيقه زيادة للالهاب والثبتات وتمريضا بمن يحسب الغنى مكرومة والظاهر أن الجملة الشرطية بعد استئناف وقيل هذا مما اجتمع فيه شرطان وليس من الشروط المترتبة الوقوع فالمتأخر لفظا هو المتقدم والمتقدم لفظا هو شرط في الثاني فهو كقوله

فان عثرت بعدها إن وألت * نفسى من هاتا فقولوا لالما

وقرأ الحسن أنذا على الاستفهام وهو استفهام تفرير وتوبيخ على قوله أساطير الولين ﴿ سَنَسِمُهُ ﴾ سنجدل له سمة وعلامة ﴿ كحلى الخراطوم ﴾ أى على الانف وهو من باب اطلاق مشفر على شفة غليظة لانسان كاسنشيرال

ان شاء الله تعالى وعبر بذلك عن غاية الاذلال لان السمعة على الوجهين حتى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عنه في الحيوانات ولن فاعله فكيف على أكرم موضع منه وهو الأنف لتقدمه وقد قيل الجمل في الأنف وعليه قول بعض الأدباء وحسن الفتى في الأنف والأنف عاطل ﴿﴾ فكيف اذا ما الحال كان له حلياً وجملوه مسكان العزة والحمة واشتقوا منه الأنفة وقالوا الأنف في الأنف وحى أنفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الدليل جدد أنفه ورغم أنفه ومنه قول جرير

لما وضعت على الفرزدق ميسمى ﴿﴾ وعلى البيهت جددت أنف الاخطل

وفي لفظ الخرطوم استهانة لانه لا يستعمل الا في الفيل والخنزير ففي التعبير عن الأنف بهذا الاسم ترشيع لما دل عليه الومس على العضو المخصوص من الاذلال والمراد ستهينه في الدنيا ونذله غاية الاذلال وكون الوعيد المذكور في الدنيا هو المروى عن قتادة وذهب اليه جمع الا انهم قالوا المعنى سنفعل به في الدنيا من الذم والمقت والاشتهار بالشر ما يبقى فيه ولا يخفى فيكون ذلك كالومس على الأنف ثابتا بينا كما تقول سأطوقك طوق الحلمة أى أثبت لك الامر بينا فيك وزاد ذلك حسنا ذكر الخرطوم انتهى وبينه وبين ما تقدم فرق لا يخفى وقال بعض هو في الآخرة ومن القائلين بأن هذا وعيد بما يكون فيهما من قله هو تذييب بنار على أنفه في جهنم وحكى ذلك عن المراد وقال آخرون منهم يومس يوم القيامة على أنفه بسمة يعرف بها كفره وانحطاط قدره وقال أبو العالية ومقاتل واختاره الفراء المراد يسود وجهه يوم القيامة قبل دخول النار وذكر الخرطوم والمراد الوجه مجازا ومن القائلين بانه يكون في الدنيا من قال هو وعيد بما أصابه يوم بدر فانه خطم فيه بالسيف فبقيت سمة على خرطومه وروى هذا عن ابن عباس والمعروف في كتب السير والاحاديث ان أبا جهل قتل يوم بدر والباقيين ماعدا الحكم ماتوا قبله فلم يسم أحد منهم بذلك الومس وكذا الحكم لم يعلم انه ومم بذلك وان كان لم يمت قبل وعن التضر بن شميل ان الخرطوم الحمر وأنشد

تظل يومك في لحو وفي لعب ﴿﴾ وأنت يالليل شراب الخراطيم

وان المعنى سنحده على شربها وتعقب بانه تنفيه الرواية بان أولئك الكفرة هلكوا قبل تحريم الخمر ماعدا الحكم وهو لم يثبت انه حدى على انهم لم يكونوا ملتزمي الاحكام والدراية أيضا لتمقيد اللفظ وفوات غفامة المعنى (إِنَّا بَلَوْنَا هُمْ) أى أصبنا أهل مكة ببيلة وهي القحط بدعوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف ﴿كَمَا بَلَوْنَا﴾ أى مثل ما بلونا فالكف في محل نصب صفة مصدر مقدر وما مصدرية وقيل بمعنى الذى أى كالبلاء الذى بلوناه ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ المعروف خيرها عندهم كانت بأرض اليمن بالقرب منهم قريبا من صنعاء لرجل كان يؤدى حق الله تعالى منها فأتت فصارته الى ولده فتمنوا الناس خيرها وبخلوا بحق الله تعالى منها فكان ما ذكره الله تعالى وكانت على ما أخرج ابن المنذر وغيره عن ابن جرير بأرض في اليمن يقال لها صوران بينها وبين صنعاء ستة أميال وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس هم ناس من الحبشة كانت لا يهيم جنة وكان يطعم منها المساكين فأتت فقتل بنوه ان كان أبونا لاحق حين يطعم المساكين فاقسموا على أن لا يطعموا منها مسكيناً. وأخرج عبد بن حميد عن قتادة أنه قال كانت لشيخ من نبي اسرائيل وكان يمسك قوت سنته ويتصدق بالفضل وكان بنوه يهنونه عن الصدقة فلما مات أقسموا على منع المساكين وفي رواية أنها كانت لرجل صالح على فرسخين من صنعاء وكان يترك للمساكين ما أخطأ المنجل وما في أسفل الاكداس وما أخطأ القطاف من الضرب وما بقي على البساط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر ونحن أولو عيال خلفوا ليصرمنا وقت الصباح

خفية عن المساكين كما قال عز وجل ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا ﴾ معمول بلونا ﴿ لَيَصْرُنَّهَا ﴾ ليقطن من ثمارها بعد استوائها ﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ داخلين في الصباح وهذا حكاية لقسمهم لا على منطوقهم والا لقل لنصرمنها بنون المتكلمين وكلا الأمرين جائز في مثله ﴿ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴾ قيل أى ولا يقولون ان شاء الله تعالى وتسميته استثناء مع أنه شرط من حيث أن مؤاده مؤدى الاستثناء فان قولك لا اخرجن ان شاء الله تعالى ولا أخرج الا أن يشاء الله تعالى بمعنى واحد وقال الامام أصل الاستثناء من التثنية وهو الكف والرد وفي التثنية بالشرط رد لانقاذ ذلك اليهين فاطلاقه عليه حقيقة وقيل أى ولا ينتنون عما هموا به من منع المساكين والظاهر على القواين عطفه على أقسموا فقتضى الظاهر وما استنتوا وكأنه انما عدل عنه اليه استحضارا للصورة لما فيها من نوع غرابة لان الثلاثى في الحلف على ما يلزم منه ترك طاعة الاستثناء في الكشف هو حال اى غير مستثنين وفي المدول الى المضارع نوع تعبير وتنبه على مكان خطهم وفيه رز الى ما ذكرنا وقيل المعنى ولا يستنون حصنة المساكين كما كان يخرج أبوهم وعليه هو مطوف على قوله تعالى ليعصرمنها ومقسم عليه أو على قوله سبحانه مصبحين الحل وهو معنى لا غبار عليه ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا ﴾ أى أحاط نازلا على الجنة ﴿ طَائِفٌ ﴾ أى بلاه محيط فهو صفة لمحدوف وقول قتادة طائف أى عذاب بيان لحاصل المعنى ونحوه قول ابن عباس أى أمر وعن الفراء تخصيص الطائف بالامر الذى يأتى بالليل وكان ذلك على ما قال ابن جريج عنفا من نار خرج من وادى جنتهم وقيل الطائف هو جبريل عليه السلام اقتلمها وطاف بها حول البلد ثم وضعا قرب مكة حيث مدينة الطائف اليوم ولذلك سميت بالطائف وليس في أرض الحجاز بلدة فيها الماء والشجر والاعناب غيرها ولا يصح هذا عندى كقولهم بأن الطائف المدينة المذكورة كانت بالشام فنقلها الله تعالى الى الحجاز بدعوة ابراهيم عليه السلام وكذا القول بانها طافت على الماء في الطوفان ولو قيل كل ذلك على ظاهر حديث خرافة لا بعد حديث خرافة وقرأ النخعي طيف ﴿ مِنْ رَبِّكَ ﴾ مبتدئ من جهته عز وجل ﴿ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ في موضع الحال والمراد أتاها ليلا كما روى عن قتادة وقيل المراد وهم غافلون غفلة تامة عما جرت به المقادير والاول أظهر من جهة السباق واللاحق ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ كالبلستان الذى صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شيء ففعل بمعنى مفعول وقال ابن عباس كالرماد الاسود وهو بهذا المعنى لغة خزيمية وعنه أيضا الصريم رملة باليمن معروفة لا تنبت شيئا وقال مؤرج كالرملة انصرمت من معظم الرمل وهي لا تنبت شيئا ينفع وقال منذر والفراء وجماعة الصريم الليل والمراد أصبحت محترقة تشبه الليل في السواد وقيل التورى كالصبح من حيث ابيضت كالزروع المحسود وقال بعضهم يسمى كل من الليل والنهار صريما لانصرام كل عن صاحبه وانقطاعه عنه ﴿ فَتَنَادَوْا ﴾ نادى بعضهم بعضا ﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ لقسمهم السابق ﴿ أَنْ اذْهَبُوا ﴾ أى أى اخرجوا على أن أن تفسيرية واغدوا بمعنى اخرجوا أو بان اغدوا على أن أن مصدرية وقبلها حرف جر مقدر وهي يجوز أن توصل بالامر على الاصح ﴿ عَلَيَّ حَرِّ نَارِكُمْ ﴾ أى يستانكم ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أى قاصدين للصرم وقطع الثمار فاغدوا وقيل يحتمل أن يكون المراد ان قسم أهل عزم واقدام على رأيكم من قولهم سيف صارم وليس بذلك وظاهر كلام جار الله ان غدا بمعنى بكر يتمدى بالى وعدى ههنا بملئ لتضمين الغد ومعنى الاقبال كما في قولهم يمدى عليه بالجفنة ويراح أى قابلوا على حرككم باكربين ويجوز أن يكون من غدا عليه اذا غار بان يكون قد شبه غدوم لقطع الثمار بقدوم الجيش على شيء لان معنى الاستملاء والاستيلاء موجود فيه وهو الصرم والقطع

ويكون هناك استعارة تبعية وجوز ان تعتبر الاستعارة تمثيلية وقال أبو حيان الذي في حفظي ان غدا يمدى يعل كما في قوله

وقد غدو على ثبة كرام * نشاوى واجدين لما نشاه

وكذا بكر مرادفه كما في قوله

بكرت عليهم غدوة فرأيتهم * فعودا لديه بالصرير عواذله

(فانطلقوا وهم يتخافتون) أى يتشاورون فيما بينهم بطريق الخفافة وحقى بفتح الفاء وخفت وخفدت ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الحفدود للخفاش والحفود للناقة التي تلتق ولدها قبل ان يستدين خلقه (أن لا يدخلنها اليوم) أى الجنة (عليكم مسكين) ان مفسرة لما في التخافت من معنى القول او مصدرية والتقدير بان ويؤيد الاول قراءة عبد الله وابن ابي عمير باسقاطها وعليه قيل هو بتقدير القول وقيل العامل فيه يتخافتون اتضمنه معنى القول وهو المذهب الكوفي فيه وفي امثاله وانما كان فالمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه منه كقولهم لا أرينك هنا (وغدوا على حرد) أى منع كما قال ابو عبيد وغيره من قولهم حاربت الابل اذا قلت ألبانها وحاربت السنة قل مطرها وخيرها والحار متعلق بقوله تعالى (قادرين) قدم للحصر ورعاية الفواصل أى وغدوا قادرين على منع لا غير والمعنى انهم عزموا على منع المساكين وطلبوا حرمانهم ونكدهم وهم قادرين على نفهم فغدوا بحال لا يقدرين فيها الا على المنع والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتحولوا الحرمان أو غدوا على محارمة جنتهم وذهاب خيرها بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعتها اى غدوا حاصلين على حرمان انفسهم مكان كونهم قادرين على الانتفاع والحصر على الاول حقيقى وعلى هذا اضافى بالنسبة الى انتفاعهم من جنتهم والحرمان عليه خاص بهم وجوز أن يكون على حرد متعلقا بغدوا والمراد بالحرد حرد الجنة حىء به مشاكلة للحرد كأنه لما قالوا اغدوا على حردكم وقد خبث نيتهم عاقبهم الله تعالى بان حاربت جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا على حرد وانما غدوا على حرد وقادرين من عكس الكلام لانهم على قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين وقيل الحرد الحرد بفتح الراء وقد قرئ به وهو بمعنى الغضب والغضب كما قال أبو نصر أحمد بن حاتم صاحب الاصمى وأنشد

اذا حياح الحيل جاءت تردى * مملوءة من غضب وحرد

أى لم يقدروا الا على اغضاب بعضهم لبعض كقوله تعالى فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون وروى هذا عن سفيان والسدى والحصر حقيقى ادعائى أو اضافى وقيل بمعنى القصد والسرعة وأنشد

أقبل سيل جاء من أمر الله * يحرد حرد الجنة المغله

أى غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وروى هذا عن ابن عباس فعلى حرد ظرف مستقر حال من ضمير غدوا وقادرين حال أيضا الا انها حال مقدرة على ما قيل وقيل حال حقيقة بناء على القيد بعند انفسهم وانما قيد به لان ثمار جنتهم هالكة فلا قدرة لهم على صرامها وقد نيت وقال الازهرى حرد اسم قريبهم وفي رواية عن السدى اسم جنتهم ولا أظن ذلك مرادا وقيل الحرد الانفراد يقال حرد عن قومه اذا تنحى عنهم وتزل منفردا وكوكب حرود معتزل عن الكواكب والمعنى وغدوا الى جنتهم منفردين عن المساكين ليس أحد منهم معهم قادرين على صرامها وهو من باب التهمك وقيل قادرين على هذا القول من التقدير بمعنى التضييق أى مضيقين على المساكين اذ حرموهم ما

كان أبوهم ينيلهم منها وهو حال مقدره **(فَلَمَّا رَأَوْهَا)** أول ما وقع نظرهم عليها **(قَالُوا إِنَّا أَصَاوُنَ)** طريق جننا وما هيها قاله قتادة وقيل لصالون عن الصواب في غدونا على نية منع المساكين ولبس بذلك **(بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ)** قالوه بعدما تأملوا ووقفوا على حقيقة الأمر ضربين عن قولهم الأول أي لسننا صالين بل نحن محرمون حرمانا خيرا بجنائنا على أنفسنا **(قَالَ أَوْسَطُهُمْ)** أي أحسنهم وأرجحهم عقلا ورأيا أو أوسطهم سنا **(أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ)** أي لولا تذكرون الله تعالى وتوبون اليه من خبت نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله تعالى وتوبوا اليه عن هذه انية الحبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فصوه فميرهم وبدل على هذا المعنى قوله تعالى **(قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ)** لان التسبيح ذكر لله تعالى وانا كنا الخ ندامة واعتراف بالذنب فهو توبة والظاهر أنهم انما تكلموا بما كان يدعوهم الى التكلم به على أثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لالتقامها في معنى التعظيم لله عز وجل لان الاستثناء تفويض اليه سبحانه والتسبيح تنزيه له تعالى وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم فكأنه قيل الم اقل لكم لولا تستنون أي تقولون ان شاء الله تعالى وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي وابن المنذر عن ابن جريج وحكاة في البحر عن مجاهد وأبي صالح انهما قالا كان استنواؤهم في ذلك الزمان التسبيح كما تقول نحن ان شاء الله تعالى وجملة بعض الحنفية استثناء اليوم فمضاه لوقال لزوجته أنت طالق سبحانه الله لا تطاق ونسب الى الامام ابن الهمام وادعى أنه قاله في فتاويه ووجه بان المراد بسبحان الله فيها ذكر انزه الله عز وجل من أن يخلق البيض اليه وهو الطلاق فانه قد ورد أبيض الحلال الى الله تعالى الطلاق وأنكر بعض المتأخرين نسبه الى ذلك الامام المتقدم ونفى أن يكون له فتاوى واعترض التوجيه المذكور بما اعترض وهو لعمري أدنى من أن يعترض عليه وأنا أقول أولى منه قول النحاس في توجيه جعل التسبيح موضع الاستثناء ان المعنى تنزيه الله تعالى أن يكون شيء الا بمشيئته وقد يقال لعل من قال ذلك بنى الأمر على صحة ما روى وان شرع من قبلنا شرع لنا اذا قصه الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم علينا من غير تكبير وهذا على علانه أحسن مما قيل في توجيهه كما لا يخفى وقيل المعنى لولا تستغفرون ووجه التجوز يعلم مما تقدم **(فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَاوُمُونَ)** يلوم بعضهم بعضا فان منهم على ما قيل من أشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من أنكره ولا يابى ذلك اسناد الافعال فيها سبق الى جميعهم لما علم في غير موضع **(قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ)** متجاوزين حدود الله تعالى **(عَسَى رَبَّنَا أَنْ يُدْخِلَنَا)** أي يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة **(خَيْرًا مِمَّا)** أي من تلك الجنة **(إِنَّا إِلَى رَبِّنَا)** لا الى غيره سبحانه **(رَاغِبُونَ)** راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاه الرغبة أو لتضمنها معنى الرجوع وعن مجاهد أنهم تابوا فابدلوا خيرا منها وروى أنهم تماقدوا وقالوا أن أبدلنا الله تعالى خيرا منها لنمصنعن كما صنع أبونا فدعوا الله عز وجل وتضرعوا اليه سبحانه فابدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خيرا منها وقال ابن مسعود بلغنى أن القوم دعوا الله تعالى وأخلصوا وعلم الله تعالى منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها غيب يحمل على البغل منها عقود وقال أبو خالد النخعي رأيت تلك الجنة وكل عقود منها كالرجل الاسود القائم وأستظهر أبو حيان أنهم كانوا مؤمنين أصابوا معصية وتابوا وحكى عن بعض أنهم كانوا من أهل الكتاب وعن التستري أن المعظم يقولون أنهم تابوا وأخلصوا وتوقف الحسن في إيمانهم فقال لادري أكان قولهم انا الى ربنا راغبون إيمانا أو على حد ما يكون من المشركين اذا أصابتهم الشدة وسئل قتادة عنهم أهم من

أهل الجنة أم من أهل النار فقال للسائل لقد كلفتني تشا وقرأ نافع وأبو عمرو ويبد لنا مشددا ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ ﴾ جملة من مبتدأ وخبر مقدم لإفادة القصر والاهتمام باللهدأى مثل ذلك العذاب الذى بلونا به أهل مكة من الجذب الشديد وأصحاب الجنة مما قص عذاب الدنيا والكلام قيل وارد تحذيرا لهم كأنه لما نهى سبحانه عن طاعة الكفار وخاصة رؤسائهم ذكر عز وجل أن تمردم لما أتوه من المال والذين وعقب جسد وعلا بأنهما إذا لم يشكرا المنعم عليهما يؤل حال صاحبهما الى حال أصحاب الجنة مدمجا فيه ان خبت النية والزوى عن المساكين اذا أفضى بهم الى ما ذكر فعائدة الحق تعالى بعباد من هو على خلقه وأشرف الموجودات وقطع رحمة أولى بأن يفضى بأهل مكة الى البوار وقوله تعالى ﴿ وَكَذَٰبُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ أى أعظم وأشد تحذير عن العناد بوجه أبلغ وقوله سبحانه ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ نعى عليهم بالغفلة أى لو كانوا من أهل العلم لعلموا انه أكبر ولا خدوا منه حذرهم ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أى من الكفر كما فى البحر وأومنه ومن المعاصى كما فى الارشاد ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ أى فى الآخرة فانها مختصة به عز وجل اذ لا يتصرف فيها غيره جل جلاله أو فى جوار قدسه ﴿ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴾ جنات ليس فيها الا النعيم الخالص عن شائبة ما ينقصه من الكدورات وخوف الزوال وأخذ الحصر من الاضافة الى النعيم لافادتها التميز من جنات الدنيا والتعريض بان جنات الدنيا لغالب عليها النقص طبع على كدرو أنت تريدها * صفوا من الاقدار والا كدار

وقوله تعالى ﴿ أفنجعل المسلمين كالجحيم ﴾ تقرير لما قبله من فوز المتقين ورد لما يقوله الكفرة عند سماعهم بحديث الآخرة وما وعد الله تعالى ان صح أنا نبعت كما يزعم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ماهي فى الدنيا والالم يزيدوا علينا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم ان يساوتنا والهمزة للانكار والفاء للعطف والمطف على مقدر يقتضيه المقال أى فيجيب فى الحكم فيجعل المسلمين كالسافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الرد وتشديده ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ تعجبا من حكمهم واستبعادا له وايدانا بانه لا يصدر من عاقل اذ معنى مالكم أى شئ حصل لكم من خلل الفكر وفساد رأى ﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ ﴾ نازل من السماء ﴿ فِيهِ ﴾ أى فى الكتاب والجار متعلق بقوله تعالى ﴿ تَدْرُسُونَ ﴾ أى تقرؤن فيه والجملة صفة كتاب وجوز أن يكون فيه متملقا بتملق الخبر أو هو الصفة والضمير للحكم أو الامر وتدرسون مستأنف أو حال من ضمير الخطاب وقوله تعالى ﴿ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخَيَّرُونَ ﴾ أى الذى تختارونه وتشتهونه يقال تخير الشئ واختاره أخذ خيره وشاع فى أخذ ما يريد مطلقا مفعول تدرسون اذ هو المدروس فهو واقع موقع المفرد وأصله أن لكم فيه ما تخيرون بفتح همزة أن وترك اللام فى خبرها فلما جىء باللام كسرت الهمزة وعلق الفعل عن العمل ومن هنا قيل انه لا بد من تضمين تدرسون معنى العلم ليجرى فيه العمل فى الجمل والتعليق وجوز أن يكون هذا حكاية للمدرّوس كما هو عليه فيكون بعينه لفظ الكتاب من غير تحويل من الفتح للكسر وضمير فيه على الاول للكتاب وأعيد للتأكيد وعلى هذا يعود لامرهم أول للحكم فيكون محصل ما خط فى الكتاب أن الحكم أو الامر مفوض لهم فسقط قول صاحب التفسير ان لفظ فيه لا يساعده للاستثناء بفيه أولا من غير حاجة الى جعل ضمير فيه ليوم القيامة بقرينة المقام أول للمكان المدلول عليه بقوله تعالى عند ربهم وعلى الاستثناء هو للحكم أيضا وجوز الوقف على تدرسون على أن قوله تعالى ان لكم الخ استئناف على معنى ان كان لكم كتاب فلتم فيه ما تخيرون وهو كما ترى والظاهر ان أم نكم الخ مقابل لما قبله نظرا لحاصل المعنى اذ محصله أفصد عقلم حتى حكمتكم بهذا أم جاءكم كتاب

فيه تخييركم وتفويض الامر اليكم وقرأ طلحة والضحاك أن لكم بفتح الهززة واللام في لما زائدة كقراءة من قرأ الا أنهم ليا تكون العلم بفتح همزة انهم وقرأ الاعرج أن لكم بالاستفهام على الاستثناف ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَٰلَيْنَا﴾ أى أقسام وفسرت باليهود والطلاق الايمان عليهما من اطلاق الجزء على الكل أو اللزوم على اللزوم ﴿بِالْفِئَةِ﴾ أى أقصى ما يمكن والمراد متناهية في التوكيد وقرأ الحسن وزيد بن علي بالفئة بالنصب على الحال من الضمير المستتر في علينا أو لكم وقال ابن عطية من ايمان لتخصيصها بالوصف وفيه بعد ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ متعلق بالمقدر في لكم أى ثابتة لكم الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدها الا يومئذ اذا حكماكم وأعطيناكم ما نحكمون أو متعلق بالفئة أى ايمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه وافرة لم يبطل منها يسين فالى على الاول لغاية الثبوت المقدر في الظرف فهو كاجل الدين وعلى الثاني لغاية البلوغ فهي قيد اليقين أى يميناً مؤكداً لا ينحل الى ذلك اليوم وليس من تأجيل المقسم عليه في شيء اذ لا مدخل للفئة في المقسم عليه فتأمل وقوله تعالى ﴿إِنْ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ﴾ جواب القسم لان معنى أم لكم ايمان علينا أم أقسمنا لكم وهو جار على تفسير الايمان بمعنى اليهود لان العهد كاليمين من غير فرق فيجاء بما يجاب به القسم وقرأ الاعرج أن لكم بالاستفهام أيضاً ﴿صَلُّهُمْ﴾ تلويح للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باسقاطهم عن رتبة الخطاب أى سلمهم مبكتاهم ﴿أَيْهُمْ بِذَلِكَ﴾ الحكم الخارجى عن دائرة العقول ﴿زَعِيمٌ﴾ قائم يتصدى لتصحيحه والجملة الاستفهامية في موضع الممول الثاني لسد والفعل عند أبى حيان وجماعة معلق عنها لكان الاستفهام وكون السؤال منزلاً منزلة العلم لكونه سبباً لحصوله ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ يشاركونهم في هذا القول ويذهبون مذهبهم ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صادِقِينَ﴾ فدعواهم اذ لا أقل من التقليد وقد نبه سبحانه وتعالى في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن أن يتعلقوا به في تحقيق دعواهم حيث نبه جل شأنه على نفي الدليل العقلى بقوله تعالى مالكم كيف تحكمون وعلى نفي الدليل الثقلى بقوله سبحانه أم لكم كتاب الخ وعلى نفي التقليد الذى هو أوهن من جبال القمر بقوله عز وجل أم لهم شركاء وقييل المعنى أم لهم آلهة عدوها شركاء في الالهية تجعلهم كالمسلمين في الآخرة وقرأ عبد الله وابن أبى عتبة فليأتوا بشركهم والمراد به ما أريد بفسر كما هم ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ متعلق بقوله تعالى فليأتوا على الوجهين ويجوز تعلقه بمقدر كاذر أو يكون كيت وقييل بخاشمة وقييل بترهقهم وأياما كان فالمراد بذلك اليوم عند الجمهور يوم القيامة والساق ما فوق القدم وكشفها والتضمير عنها مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب حتى انه يستعمل بحيث لا يتصور ساق بوجه كما في قول حاتم

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها ✽ وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقول الراجز عجيت من نفسى ومن أشفاقها ✽ ومن طواه الحيل عن أرزاقها

في سنة قد كشفت عن ساقها ✽ حمراء تبرى اللحم عن عراقها

وأصله تضمير المخدرات عن سوقهن في الحرب فانهن لا يفعلن ذلك الا اذا عظم الخطب واشتد الامر فيذهلن عن الستر بذيل الصيانة والى نحو هذا ذهب مجاهد وابراهيم النخعي وعكرمة وجماعة وقد روى أيضاً عن ابن عباس أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم والحاكم وصححه والبيهقى في الاسماء والصفات من طريق عكرمة عنه أنه سئل عن ذلك فقال اذا خفى عليكم شيء من القرآن فابتغوه في

الشعر فانه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر

صبرا عناق أنه شرباق **✽** قد سن لي قومك ضرب الاعناق **✽** وقامت الحرب بنا على ساق

والروايات عنه رضى الله تعالى عنه بهذا المعنى كثيرة وقيل ساق الشيء أصله الذى به قوامه كساق الشجر وساق الانسان والمراد يوم يكشف عن أصل الامر فتظهر حقائق الامور وأصولها بحيث تصير عيانا واليه يشير كلام الربيع بن أنس فقد أخرج عبد بن حميد عنه انه قل في ذلك يوم يكشف النطاق وكذا ما أخرجه البيهقي على ابن عباس أيضا قال حين يكشف الامر وتبدوا الاعمال وفي الساق على هذا المعنى استعارة نصرية وفي الكشف تجوز آخر أو هو ترشيح للاستعارة باق على حقيقته وتكثير ساق قيل للتحويل على الاول وللتعميم على الثاني وقيل لا ينظر الى شيء منهما على الاول لان الكلام عليه تمثيل وهو لا ينظر فيه للمفردات أصلا وذهب بعضهم الى أن المراد بالساق ساقه سبحانه وتعالى وان الآية من التشابه واستدل على ذلك بما أخرجه البخارى ومسلم والنسائى وابن المنذر وابن مردويه عن أبى سعيد قال سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة وبقى من كان يسجد في الدنيا ربا وسمة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا وانكر ذلك سعيد بن جبير أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عنه انه سئل عن الآية فضرب غضبا شديدا وقال ان اقواما يزعمون ان الله سبحانه يكشف عن ساقه وانها يكشف عن الامر الشديد وعليه يحمل ما في الحديث على الامر الشديد ايضا واضافته اليه عز وجل لتحويل امره وانه امر لا يقدر عليه سواه عز وجل وارباب الباطن من الصوفية يقولون بالظاهر ويدعون ان ذلك عند التجلى الصورى وعليه حملوا أيضا ما أخرجه اسحق بن راهويه في مسنده والطارى والدارقطنى في الرؤية والحلم وصححه ابن مردويه وغيرهم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيامة وينزل الله في ظلال من الغمام فينادى مناد يا أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذى خلقكم وصوركم ورزقكم أن يولى كل انسان منكم ما كان يبغى في الدنيا ويتولى أليس ذلك عدلا من ربكم قالوا بلى قال فلينطلق كل انسان منكم الى ما كان يتولى في الدنيا ويتمثل لهم ما كانوا يعبدون في الدنيا ويمثل لمن كان يعبد عيسى عليه السلام شيطان عيسى وكذا يمثل لمن كان يعبد عزرا حتى تمثل لهم الشجرة والعود والحجر وبقى أهل الاسلام جنوما فيتمثل لهم الرب عز وجل فيقال لهم مالكم لم تتلقوا كما انطلق الناس فيقولون ان لنا ربا ما رأينا بعد فيقول فبم ترفون ربكم ان رأيتموه قالوا بيننا وبينه علامة ان رأينا عرفناه قال وما هي قالوا يكشف عن ساق فيكشف عند ذلك الحديث وهو ونظائره من التشابه عند السلف وقرأ ابن مسعود وابن ابي عمير يكشف بفتح الياء مبني الفاعل وهي رواية عن ابن عباس وقرأ ابن هرمز تكشف بالثون وقرئ يكشف بالياء التحتية مضمومة وكسر الشين من أ كشف اذا دخل في الكشف ومنه اكشف الرجل فهو مكشف انقلب شفته العليا وقرئ تكشف بالياء الفوقية والبناء للفاعل وهو ضمير الساعة المعلومة من ذكر يوم القيامة أو الحال المعلومة من دلالة الحال وبها والبناء للمفعول وجعل الضمير للساعة أو الحال أيضا وتعقب بأنه يكون الاصل حينئذ يكشف الله الساعة عن ساقها مثلا ولو قيل ذلك لم يستقم لانسدعائه ابداء الساق واذهاب الساعة كما تقول كشفت عن وجهها القناع والساعة ليست سترا على الساق حتى تكشف وأجيب انها جملة سترها مبالغة لان المخدرة تبلغ في الستر جهدها فكأنها نفس الستر فقيل تكشف الساعة وهذا كما تقول كشفت زيدا عن جهله اذا بالت في اظهار جهله لانه كان سترا على جهله يستر معايبه فابتنه وأظهره اظهارا لم يخف على أحد وقيل عليه ان الاذهاب حينئذ ادعائى

ولا يخفى ما فيه من التكلف ولا عبرة بما ذكر من المثال المصنوع وأقل تكلفا منه جعل عن ساق بدل اشتغال من الضمير المستتر في الفعل بعد نزع الحافض منه والاصل يكشف عنها أى عن الساعة أو الحال فنزع الحافض واستتر الضمير وتعقب بأن ابدال الجار والمجرور من الضمير المرفوع لا يصح بحسب قواعد العربية فهو ضفت على ابالة وتكلف على تكلف وقيل ان عن ساق نائب الفاعل وتعقب بأن حق الفعل التذكير كصرف عن هند ومر بعدد ﴿ وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ ﴾ توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه في الدنيا وتحسيرا لهم على تفريطهم في ذلك ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على أنهم يقصدونه فلا يتأني منهم وعن ابن مسعود تقيم أصلاهم أى ترد عظاما بلا مفاصل لا تنتهي عند الرفع والحفض وتقدم في حديث البخارى ومن معه ماسمعت وفي حديث نصير أصلاب المنافقين والكفار كصياصى البقر عظما واحدا والظاهر ان الداعى الله تعالى أو الملك وقيل هو ما يرونه من سجود المؤمنين واستدل أبو مسلم بهذه الآية على ان يوم الكشف في الدنيا قال لانه تعالى قال ويدعون الى السجود ويوم القيامة ليس فيه تعبد ولا تكليف فيراد منه اما آخر أيام الشخص في دنياه حين يرى الملائكة واما وقت المرض والهرم والمعجزة ويدفع بما أشرنا اليه ﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ ﴾ حال من مرفوع يدعون على ان أبصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الابصار لظهور أثره فيها ﴿ تَرَاهُمْ ﴾ تلحقهم وتعشام ﴿ ذِلَّةٌ ﴾ شديدة ﴿ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ ﴾ في الدنيا والاضهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير أو لان المراد به الصلوات المكتوبة كما قال النخعي والشعي أو جميع الطاعات كما قيل والدعوة دعوة التكليف وقال ابن عباس وابن جبير كانوا يسمعون الاذان والنداء للصلاة فلا يجيبون ﴿ وَهُمْ سَائِمُونَ ﴾ متمكنون منه أقوى تمكن أى فلا يجيبون اليه ويأبونه وترك ذكر هذا ثقة بظهوره ﴿ قَدَرْنِي وَمَنْ يُكَدِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ﴾ أى اذا كان حالهم ما سمعت فكل من يكذب بالقرآن الى واستكفنيه فان في ما يفرغ بالك ويخلى همك وهو من بليغ الكلام يفيد ان التكلم وائق بأنه يتن من الوفاء باقصى ما يدور حول أمانة المخاطب وبما يزيد عليه وقد حققه جار الله بما حاصله ان من استكفى أحدا ترك الامر اليه والا كان استعانة لا استكفاء فاقم الرادف أعنى التخلية وان يذره وياه مقام الاستكفاء بمبالغة وانباء عن الكفاية البالغة كيف وهذا الكفى طلب الاستكفاء بقوله ذرني وأبرز ترك الاستكفاء في صورة المنع بمبالغة على فلولم يكن شديد الوثوق بتمكنه من الوفاء أقصى التمكن وفوق ما يحوم حول خاطر المستكفى لسا كان للطلب على هذا الوجه الابلغ وجه ومن في موضع نصب اما عطفًا على المنصوب في ذرني أو على انه مفعول معه وقوله تعالى ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ ﴾ استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الكلام السابق اجمالا والضمير لمن والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في يكذب باعتبار لفظها أى سنستزلمهم الى العذاب درجة فدرجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة ﴿ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ انه استدراج بل يزعمون ان ذلك ايثار لهم وتفضل على المؤمنين مع انه سبب لهلاكهم ﴿ وَأَمْلِي لَهُمْ ﴾ وأمهلهم ليزدادوا اثما وهم يزعمون ان ذلك لارادة الخير بهم ﴿ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ لا يدفع بشيء وتسمية ذلك كيدا وهو ضرب من الاحتيال لكونه في صورته حيث انه سبحانه يفعل معهم ما هو نفع لهم ظاهرا ومرآده عز وجل به الضرر لما علم من خبت جياتهم ونمادهم في الكفر والكفران ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ ﴾ على الابلاغ والارشاد ﴿ أَجْرًا ﴾ دنويًا ﴿ قَوْمٌ ﴾ لاجل ذلك ﴿ مِنْ مَّغْرَمٍ ﴾ أى غرامة مالية ﴿ مَقْتُلُونَ ﴾ مكلفون حملات ثقيلًا فيعرضون عنك وهذه الجملة على ما قاله

ابن الشيخ معطوفة على قوله تعالى أم لهم شركاء ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ أى الغيبات أو للوح وأطلق الغيب عليه مجازا لانه محل لكتابة المقيبات أو لظهور صورها بناء على الخلاف المعروف فيه والقرينة ﴿فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ ما يحكمون به ويستنون بذلك عن علمك ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم أراد أن يدعو على ثقيف لما آذوه حين عرض عليه الصلاة والسلام نفسه على القبائل بمكة فنزلت وقيل أراد عليه الصلاة والسلام أن يدعو على الدين انهزموا باحد حين اشتد بالمسلمين الامر فنزلت وعليه تكون الآية مدينة ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ هو يونس عليه السلام كما انه المراد من ذى النون الا انه فرق بين ذى وصاحب بان أبلغ من صاحب قال ابن حجر لاقتضائها تعظيم المضاف اليها والموصوف بها بخلافه ومن ثم قال سبحانه في مرض مدح يونس عليه السلام وذالون والنهى عن اتباعه ولا تكن كصاحب الحوت اذ النون لكونه جعل فاتحة سورة أشم وأشرف من لفظ الحوت ونقل مثل ذلك السرميني عن العلامة السهلي وفرق بعضهم بغير ذلك بما هو مذكور في حواشينا على رسالة ابن عصام في علم البيان ﴿إِذْ نَادَى﴾ فى بطن الحوت ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ أى مملوء غيظا على قومه اذ لم يؤمنوا ما دعاهم الى الايمان وهو من كظم السقاء اذا ملاه ومن استماله بهذا المعنى قول ذى الرمة

وأنت من حب مى مضمير حزنا عانى الفؤاد قريح القلب مكظوم

والجملة حال من ضمير نادى وعابها يدور النهى لاعلى النداء فانه أمر مستحسن ولذا لم يذكر المنادى واذ منصوب بمضاف محذوف أى لا يكن حاله كحال وقت نداءه أى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والغاضبة فتبتلى بنحو بلائه عليه السلام ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وقرى رحمة وتذكير الفعل على القراءتين لان الفاعل مؤنث مجازى مع الفصل بالضمير وقرأ عبدالله وابن عباس تداركته بتاء التأنيث وقرأ ابن هرمز والحسن والاعمش تداركه بتشديد الدال وأصله تداركه فابدل التاء دالا وأدغمت الدال في الدال والمراد حكاية احوال الماضية على معنى لولا ان كان يقال فيه تداركه ﴿لَتُنَبِّذَ بِالْعَرَاءِ﴾ بالارض الخالية من الاشجار أى في الدنيا وقيل بمرآة القيامة لقوله تعالى فلولا أنه كان من المبشرين لبث في بطنه الى يوم يبعثون ولا يخفى بعده ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ في موضع الحال من مرفوع نبذ وعليها يستمد جواب لولا لان المقصود امتناع نبذه مذموموا لا فقد حصل النبذ فدل على أن حاله كانت على خلاف الذم والغرض ان حالة النبذ والانتباه كانت مخالفة لحالة الالامة والابتداء لقوله سبحانه فالتقمه الحوت وهو ملين وفي الارشاد ان الجملة الشرطية استئناف وارد لبيان كون المنهى عنه أمرا محذورا مستتبعا للفتاة وقوله سبحانه ﴿فَاجْتَبَيْهِ رَبُّهُ﴾ عطف على مقدر أى فتداركته نعمة من ربه فاجتباها أى اصطفاه بان رد عز وجل اليه الوحي وأرسله الى مائة الف أو يزيدون وقيل استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة وإنما كان رسولا لبعض المرسلين في أرض الشام ﴿فَجَمَّلَهُ مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ من الكاملين في الصلاح بان عصمه سبحانه من أن يفعل فعلا يكون تركه أولى وظاهر كلام بعضهم ان الجملة من الصالحين تفسير للاجتناب قيل وفسر الصالحين بالانبياء وهو مبنى على انه لم يكن قبل الواقعة نبيا واستدل بالآية على خاق الافعال لان جملة صالحا بجمل صلاحه وخلقه فيه وهو من جملة الافعال ولا قائل بالفرق والمعتزلة يؤولون ذلك تارة بالاختصار بصلاحه وأخرى باللطف به حتى صالح على انه يحتمل ان يراد بالصالحين الانبياء كما قيل فلا تنقيد الآية أكثر من كون النبوة محمولة وهو مما اتفق

عابه الفريقان فتدبر (وَأَنْ يَكَادُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَزُولُوا نُقُورَهُمْ بِأَبْصَارِهِمْ) ان هي الخنففة واللام دليلها لانها لاتدخل بعد النافية ولذا نسمى الفارقة على عرف عند النحاة وانعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزولون قدمك فيرمونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى او يكاد يأكلنى أى لو امكنه بنظره الصرع أو الاكل لفعله وجعل مبالغة في عداوتهم حتى كانوا سرت من القلب والجوارح الى النظر فعاد يعمل عمل الجوارح وأنشدوا قول الشاعر

يتقارضون اذا التقوا في موطن * نظرا يزل مواطئ الاقدام

او انهم يكادون يسيونك بالعين اذ روى انه كان في بنى اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت وقال الكلبي كان رجل من العرب يمكث يومين او ثلاثة لا ياكل ثم يرفع جانب خبائه فيقول لم ار كالיום ابلا ولا غنا احسن من هذه فتسقط طائفة منها وتهلك فاقترح الكفار منه ان يصيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاجابهم وانشد

قد كان قومك يحسبونك سيدا * واخال انك سيد معينون

فمعصم الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وانزل عليه هذه الآية وقد قيل ان قراءتها تدفع ضرر العين وروى ذلك عن الحسن وفي كتاب الاحكام انها اصل في ان العين حق والاولى الاستدلال على ذلك بما ورد وصح من عدة طرق ان العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر وبها اخرجه احمد بسند رجاله كما قال الهيثمي ثقات عن ابى ذر مرفوعا ان العين لتلوع بالرجل باذن الله تعالى حتى يصعد حالقا ثم يردى منه الى غير ذلك من الاحاديث الكثيرة وذلك من خصائص بعض النفوس والله تعالى ان يخص ماشاء منها بما شاء و اضافته الى العين باعتبار ان النفس تؤثر بواسطتها غالبا وقد يكون التأثير بلا واسطتها بان يوصف للعائن شىء فتوجه اليه نفسه فتفسده ومن قال ان الله تعالى أجرى العادة بخلق ماشاء عند مقابلة عين العائن من غير تأثير أصلا فقد سد على نفسه باب العلل والتاثيرات والاسباب والمسببات وخالف جميع العقلاء قاله ابن القيم وقال بعض أصحاب الطبائع انه ينبعث من العين قوة سمية تؤثر فيما نظره كما فصل في شرح مسلم وهذا لا يتم عندي فيما لم يره ولا في نحو ما تضمنه حديث أبى ذر المتقدم آنفا ولا في اصابة الانسان عين نفسه كما حكاه المتأوى فانه لا يقتل الصل سمه ومن ذلك ما حكاه النسائي قال نظر سليمان بن عبد الملك في المرأة فاعجبته نفسه فقال كان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم نبيا وكان أبو بكر صديقا وكان عمر فاروقا وعثمان حيا ومما وبه حلما ويزيد صبورا وعبد الملك سائسا والوليد جبارا وأنا الملك الشاب وأنا الملك الشاب فا دار عليه الشهر حتى مات ومثل ذلك ما قيل انه من باب التأثير في القوة المعروفة اليوم بالقوة الكهربائية عند الطباعين المحدثين فقد صح ان بعض الناس يكرر النظر الى بعض الاشخاص من فوقه الى قدمه فيصرعه كالغشى عليه وربما يقف وراهه جاعلا اصابعه حذاء نقرة رأسه ويوجه نفسه اليه حتى تضعف قواه فيغشاه نحو النوم ويتكلم اذ ذلك بما لا يتكلم به في وقت آخر وأنا لأزيد على القول بانه من تاثيرات النفوس ولا أكيف ذلك فالتنفوس الانسانية من أعجب مخلوقات الله عز وجل وكم طوى فيه اسرار وعجائب تتحير فيها العقول ولا ينكرها الا مجنون أو جهول ولا يسعنى ان انكر العين لكثرة الاحاديث الواردة فيها ومشاهدة آثارها على اختلاف الاعصار ولا أخص ذلك بالنفوس الخبيثة كما قيل فقد يكون من النفوس الزكية والمشهور ان الاصابة لا تكون مع كراهة الشىء وبفضه وانما تكون مع استحسانه والى ذلك ذهب القشيري وكأنه يشير بذلك الى العطن في صحة الرواية ههنا لان الكفار كانوا يبغضونه عليه الصلاة والسلام فلا تتأتى لهم أصابته بالعين وفيه

نظر وحكم العائن على ما قال القاضي عياض أن يجنب وينبى للاملام حبسه ومنه عن مخالطة الناس كفا لضرره ما أمكن ويرزقه حيثئذ من بيت المال هذا وقرأ نافع ليزلقونك بفتح الياء من زلقه بمعنى أزلقه وقرأ عبد الله وابن عباس والاعمش وعيسى ليزهقونك بالهاء بدل اللام أى ليهلكونك ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ أى وقت سماعهم القرآن وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه ولما كما أشرنا اليه ظرفية متعلقة بيزلقونك ومن قال انها حرف وجوب لوجوب ذهب الى أن جوابها محذوف لدلالة ما قبل عليه أى لما سمعوا الذكر كادوا يزلقونك ﴿وَيَقُولُونَ﴾ لغاية حيرتهم في أمره عليه الصلاة والسلام ونهاية جهلهم بما في تضاعيف القرآن من عجائب الحكم وبدائع العلوم ولتنفير الناس عنه ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوا منه صلى الله تعالى عليه وسلم رد ذلك ببيان علو شأنه وسطوع برهانه فقيل ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ على انه حال من فاعل يقولون والرابط الواو فقط أو مع عموم العالمين كما قيل مفيد لغاية بطلان قولهم وتمجيب للسامعين من جراتهم على التفوه بتلك العظيمة أى يقولون ذلك والحال انه ذكر للعالمين أى تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه من أمور دينهم فأين من أنزل عليه ذلك وهو مطلع على أسراره طرا ومحيط بجميع حقائقه خرا مما قالوه وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وعموم العالمين لما فيه من الاعتناء بما يفهمه وقيل الضمير لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكونه مذكرا وشرفا للعالمين لا ريب فيه ورجح بان الجملة عليه تكون صريحة في رد دعوائهم الباطلة وانت تعلم ان الاول اولى والله تعالى اعلم

(سورة الحاقّة)

مكية وآياتها احدى وخمسون آية بلاخلاف فيها وبدل للاول ما أخرج الامام احمد عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال خرجت اتعرض لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان اسلم فوجدته قد سبقنى الى المسجد فوقفت خلفه فاستفتح سورة الحاقّة فجلت اعجب من تأليف القرآن هذا والله شاعر فقال وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون قلت كاهن فقال لا ولا يقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزل الى آخر السورة فوقع الاسلام في قلبي كل موقع ولما وقع في نون ذكر يوم القيامة مجمل شرح سبحانه في هذه السورة الكريمة نبأ ذلك اليوم وشأنه العظيم وضمنه عز وجل ذكر أحوال أمم كذبوا الرسل عليهم السلام وما جرى عليهم ليزدجر المكذبون المعاصرون له عليه الصلاة والسلام فقال عز من قائل

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَاقَّةُ﴾ أى الساعة أو الحالة التى يحق ويجب وقوعها أو التى تحقق ونثبت فيها الأمور الحقّة من الحساب والثواب والعقاب أو التى تحقق فيها الأمور أى تعرف على الحقيقة من حقه يحقّه اذا عرف حقيقته وروى هذا عن ابن عباس وغيره واسناد الفعل لها على وجهين الاخيرين مجاز وهو حقيقة لما فيها من الامور أو لمن فيها من أولى العلم وفي الكشف كون الاسناد مجازيا انما هو على الوجه الاخير وأما على الوجه الثانى فيحتمل الاسناد المجازى أيضا لان الثبوت والوجوب لما فيها ويحتمل ان يراد ذوالحاقّة من باب تسمية الشئ باسم ما يلبسه وهذا أرجح لان الساعة وما فيها سواء في وجوب الثبوت فيضعف قرينة الاسناد المجازى والتجوز فيه تصوير ومبالغة انتهى وبحث فيه الجلبى بما فيه بحث فارجع اليه وتدبر وقال الأزهرى الحاقّة القيامة من حاقته لحقيقته أى غالبته فغلبته فى حاقّة لانها تحقق كل محقق في دين الله تعالى بالباطل أى كل مخاصم فتغلبه وظاهر كلامهم انها على جميع ذلك وصف حذف موصوفه للايدان بكمال ظهور اتصافه بهذه الصفة وجريانه مجرى الاسم وقيل انها على ما روى عن